

تَحريكُ الجَنان

لتَدبُّر وتَوقِير أُمِّ القُرآن

ح عصام صالح محمد العويد، ١٤٣١ هـ.
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العويد، عصام صالح محمد
تحريك الجنان لتدبر وتوقير أم القرآن. / عصام صالح محمد
العويد - الرياض، ١٤٣١ هـ
٤٠ ص؛ ١٤ × ٢١ سم
ردمك: ١ - ٥٦٣٦ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨
١ - القرآن - مباحث عامة أ. العنوان
ديوي ٢٢٩ ١٤٣١ / ٧٠١١
رقم الإيداع: ٧٠١١ / ١٤٣١
ردمك: ١ - ٥٦٣٦ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

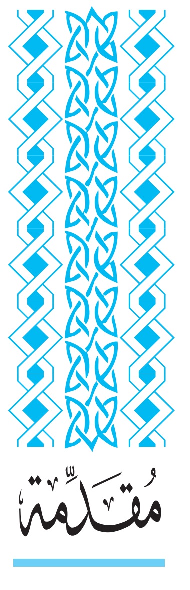
....



المملكة العربية السعودية
الرياض - الدائري الشرقي - مخرج ١٥
هاتف ٢٥٤٩٩٩٣
ناسوخ ٢٥٤٩٩٩٦
ص. ب ٩٣٤٠٤ الرمز: ١١٦٨٤
البريد الحاسوبي:
tadabbor@tadabbor.com

بسم الله الرحمن الرحيم





مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أكرمنا بنزول الفرقان، ورحمنا بأم القرآن، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي كان خلقه القرآن، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم العرض على الرحمن، أما بعد:

فهذه درة ثمينة، وعِلْقٌ نفيس، نقدمه إلى أهل القرآن، في بيان شيء من معاني أم القرآن، التي تَعَبَّدَنا الله بها في كل صلاةٍ -قارئين أو مستمعين-، جلَّى شيئًا من معانيها، وأبرز بعضَ كنوزها، أخي ورفيق دربي: فضيلة الشيخ د. عصام بن صالح العويد، عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، في هذه الرسالة الموسومة:

« تحَريكُ الجَنان لتَدبُّر وتَوقِير أُمِّ القُرآن »

إن عنوان هذه الرسالة لينبئ عن مضمونها ومراد المؤلف منها، وهي تأتي تحقيقًا لأهداف مركز تدبر القرآن، الذي أصدر عددًا من الكتب والرسائل في هذا الباب، منها رسالتان للشيخ عصام:

الأولى: المراحل الثمان لطالب فهم القرآن.

الثانية: فن التدبر في القرآن الكريم.

وقد طبعت هاتان الرسالتان ضمن إصدارات مركز تدبر، وقد نفدت جميع نسخ الطبعة الأولى للرسالة الثانية في غضون ثلاثة أسابيع ولله الحمد.

وتأتي هذه الرسالة الثالثة لفضيلته؛ لتنتظم -مع أخواتها- عقدًا كريمًا، مع بقية إصدارات المركز، والذي لا زال يسعى في طبع ونشر كلِّ نافع ومفيد في نشر عبادة التدبر؛ لتكون هذه الكتب والرسائل عونًا للأمة على تدبر كتاب ربها.

نسأل الله تعالى أن يبارك في الشيخ عصام، وفي علمه، وأن ينفع بهذه الرسالة، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه/ المستشار العلمي في مركز تدبر

د.عمر بن عبدالله المقبل

عضو هيئة التدريس في كلية الشريعة - جامعة القصيم

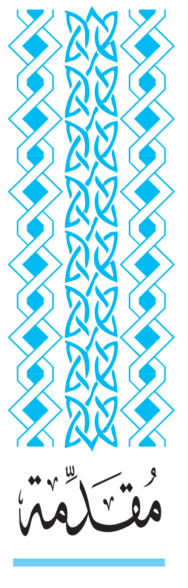




تَحريكُ الجَنان

لتَدبُّر وتَوقِير أُمِّ القُرآن





مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وأُصلِّي وأسلم على من خُصَّ بالسبع المثاني والقرآن العظيم، وعلى آله وأصحابه، ومن أنعم عليهم فهداهم صراطه المستقيم، أما بعد:

فقد تكرَّر الطلب من طلاب العلم في دولة كازاخستان لكتابة تفسير مختصر لفاتحة القرآن، يُحرك القلب لتدبرها، ومن ثمَّ توقيرها وتعظيمها اللائق بها، وكانوا سمعوا طرفًا من ذلك في أثناء زيارتي لهم في شهر جمادى الآخرة من عام ١٤٣١، وعلم الله أني كنت أُحاذر الحديث عنها من حين عَلِق قلبي تفسيرَ آي الفرقان، اعترافًا بقصوري عن إدراك مَرامها، والخوضِ في بُحورها، والتحديق في عَيْنِ شمسها، ولا جرم أن يضطرب الفؤاد هيبةً، ويرتجف القلم فَرَقًا قبل الخط بتفسيرها؛ فإنها أعظم ما انشقت عنه السموات العُلى، وتنزَّل إلى الأرض الدنيا، هي فاتحة الكتاب، وأم القرآن، الكافية الشافية

لأمراض البدن والرُّوح معًا، وقد كنت اجتهدتُ في حثِّ الإخوة هناك على تبنِّي مشروع اسمه: (علمني الفاتحة)؛ ليُعلِّموا أهليهم من المسلمين «قراءة، وفهم، وامتثال» هذه السورة العظيمة، من خلال كل القنوات والوسائل المتاحة لهم في بلادهم، ورغَّبتُهم إن أقبلوا، ورهَّبتُهم إن أعرضوا، فوافقوا بشرط أن أكتب لهم تفسيرها، فرجع ترغيبي وترهيبي إليَّ، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا، فكتبتها في طريق السفر[1]، لعل الله أن يُبارك في العُمر، راجيًا ليَ ولوالديَّ وأهلِ بيتي، ولمن راجعها، أو قرأها، أو طبعها، أو أفاد منها، أو دلَّ عليها؛ شفاعتها وبركتها وعلمها ونورها وهداها ورحمتها وخيرها ورزقها وشفاءها وكفايتها، عائذًا بالله الرحمن الرحيم من هجر قراءتها، أو حفظها، أو فهمها، أو الامتثال لها، إن ربي قريب مجيب، آمين.



(١) كان الفارق الزمني في طريق عودتي من هذه الرحلة بين وصولي لمطار أبو ظبي ومغادرتي له خمس ساعات، وكان ما جرى بيني وبين الإخوة بخصوص تعليم الفاتحة قد ملأ أركان قلبي، فلم أجد بُدًّا من الانشغال بها وتفسير آياتها، فبدأت تفسيرها هنالك، أسأل الله أن يتقبَّلها بقبولٍ حسن.

أخرج البيهقي في «شعب الإيمان»

عَنِ الحَسَنِ البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال:

«أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِائَةً وَأَرْبَعَةَ كُتُبٍ مِنَ السَّمَاءِ،

أَوْدَعَ عُلُومَهَا أَرْبَعَةً مِنْهَا: التَّوْرَاةَ، وَالإِنْجِيلَ، وَالزَّبُورَ، وَالقُرآنَ،

ثُمَّ أَوْدَعَ عُلُومَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ فِي الْقُرآنِ،

ثُمَّ أَوْدَعَ عُلُومَ الْقُرْآنِ فِي الْمُفَصَّلِ[1]،

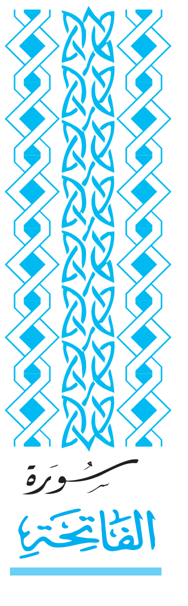
ثُمَّ أَوْدَعَ عُلُومَ الْمُفَصَّلِ فِي فَاتِحَةِ الكِتَابِ،

فَمَنْ عَلِمَ تَفْسِيرَهَا كَانَ كَمَنْ عَلِمَ تَفْسِيرَ جَمِيعِ كُتُبِ اللَّهِ الْمُنَزَّلَةِ».

---

(١) المفصَّل: من سورة ق إلى الناس.





سُورَة الفَاتِحَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١) الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٢) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ
(٣) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٤) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٥) صِرَاطَ الَّذِينَ
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ (٦) غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)﴾[(١)].

❖ فضلها:

جاء الثناء عليها مستفيضًا في القرآن وصحيح السنة، ومن ذلك:

❋ هي أفضل القرآن: فعن أَبي سَعِيد بن المُعَلَّى رضي الله عنه قال: قالَ لي رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ في القُرْآنِ؟**»، ثم

---

(١) هكذا عَدُّ آيات الفاتحة عند أئمة القراء من أهل المدينة والبصرة والشام بدون عدِّ البسملة، وهو الأقوى كما سيأتي بيانه مختصرًا بإذن الله في (ص٣٥، ٣٦)، وللاستزادة ينظر: «البيان في عد آي القرآن» لأبي عمرو الداني.

قَالَ: «**الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ؛ هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَالقُرْآنُ العَظِيمُ!**».

رواه البخاري.

وهو يشير ﷺ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ الحجر: ٨٧.

❊ لم ينزل في القرآن ولا في التَّوراةِ ولا في الإنجيلِ مثلُها، فقد أخرج التِّرمذيُّ وصححه: أنَّ النبيَّ ﷺ قال لأُبيِّ بنِ كعبٍ رضي الله عنه: «أتحبُّ أن أُعلِّمكَ سورةً لم يُنزل في التَّوراةِ، ولا في الإنجيلِ، ولا في الزَّبورِ، ولا في الفرقانِ مثلُها؟»، قلت: نعم. فقال ﷺ: «كيف تقرأ في الصَّلاة؟»، فقرأتُ أُمَّ القرآن، فقال: «والذي نفسي بيدِه ما أُنزل في التَّوراةِ، ولا في الإنجيلِ، ولا في الزبورِ، ولا في الفرقانِ مثلُها».

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «بَيْنَمَا جِبْرِيلُ عليه السلام قَاعِدٌ عِنْدَ النبي ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا(١) مِنْ فَوقِهِ، فَرَفَعَ رَأسَهُ، فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ اليَوْمَ وَلَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلاَّ اليَوْمَ، فنزَلَ منهُ مَلَكٌ، فقالَ: هذا مَلكٌ نَزلَ إلى الأرضِ لم يَنْزِلْ قطُّ إلَّا اليومَ فَسَلَّمَ، وقال: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤتَهُمَا نَبيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الكِتَابِ، وَخَواتِيمُ سُورَةِ البَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهَا إِلاَّ أُعْطِيتَهُ». رواه مسلم.

❊ أنها لبُّ الصلاة التي هي عمود الإسلام: فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة

(١) أي: صوتًا كصوت الباب إذا فُتح.

الكتاب» أخرجه الستة.

والأحاديث في فضلها متواترة.

❖ موضع نزولها:

في أم القرى مكة المكرمة على الصحيح، نُقل ذلك عن عليٍّ، وابن عبَّاسٍ، وأبي هريرة ﵃، ويدل عليه أنَّ «سورة الحِجْر» مكِّيَّةٌ بالاتفاق، وقد أُنزل فيها: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ الحجر: ٨٧، وقد بيَّن النبيُّ ﷺ أن المراد بها الفاتحة، فعُلم أنَّ نزولهَا متقدمٌ على نزول «الحِجْر».

❖ أسماؤها:

كثيرة منها: فاتحة الكتاب، والسبع المثاني، وأم القرآن -أو أم الكتاب-، والشافية، والكافية، والوافية، وأساس القرآن، وغيرها كثير.

❖ عدد آياتها:

وهي سبعُ آياتٍ كما دلَّ عليه قولُه تعالى: ﴿سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾، وفسرها النبي ﷺ بالفاتحة كما سبق، ونقل غيرُ واحدٍ الاتفاق على أنَّها سبعٌ، منهم ابنُ جرير الطبري، وفيه خلاف شاذ.

❖ معاني كلماتها:

﴿ٱلْحَمْدُ﴾: الثناء بالجميل، مع الحب والإجلال للممدوح، وبدون ذلك يُسمَّى مدحًا لا حمدًا.

﴿لِلَّهِ﴾: علم على الذات العلية المقدسة، أي: المألوه، وهو المعبود الذي تألهُ القلوب؛ فتعبده سبحانه، ولم يتسمّ بهذا الاسم غيره جل وعلا.

﴿رَبِّ﴾: الرب هو الذي يربي غيره بنعمه وعنايته .

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: جمع عالَم، وهو كل موجود سوى اللهّ تعالى .

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: صفتان لله مشتقتان من الرحمة، والرحمن: صيغة مبالغة؛ أي: عظيم الرحمة، وهو اسم عام في جميع أنواع الرحمة لكل المخلوقين بلا استثناء، وأما الرحيم؛ فهي أخص، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ الأحزاب:٤٣.

﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: أي: مالك يوم الحساب والجزاء، وخص لفظ (الدين) من دون الأسماء الأخرى ليوم القيامة؛ لأن المقصود التنويه بما يكون في ذلك من المجازاة والمحاسبة التامة الشاملة.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: أي: نخصك بالعبادة ولا نعبد غيرك، والعبادة هي: الطاعة والتذلل .

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: أي: نخصك بطلب المعونة، فأنت مصدر العون والفضل والإحسان .

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: عرِّفنا ودلنا يا رب إلى الطريق المعتدل، الذي هو أقرب الطرق الموصلة إليك وإلى جنتك .

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: طريق من أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

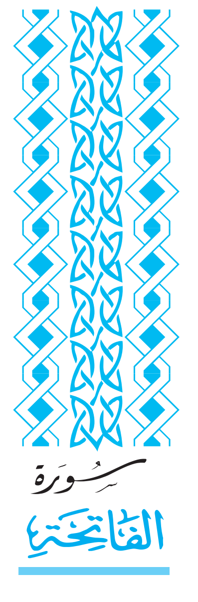
﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾: لا تجعلنا من المغضوب عليهم: وهم الذين عرفوا الحق فلم يعملوا به. ولا من الضالين: الذين لم يعرفوا الحق فعبدوا الله بجهل.

«آمين»: أي استجب دعاءنا يا ربنا، وهي ليست من القرآن.

وقد أخرج الأئمة الستة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أمَّن الإمام فأمنوا، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة، غفر له ما تقدم من ذنبه».







إشارات

إلى بعض ما تحويه سورة الفاتحة من العلوم

١- مقصود السورة:

السورة هي أم القرآن كما وصفها النبي ﷺ بذلك، فهي جامعة لكل علومه، ولذا كانت الفاتحة مبنية على معاني الكمال والشمول لحق الخالق ومصلحة المخلوق، فتأمل -سلمك الله- هذه المعاني في أم القرآن:

١) **نصفها الأول:** مبنيٌّ على إثبات استحقاق الله تعالى واختصاصه بالكمال المطلق، فإن قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ يتضمن الأصل الأول، وهو معرفة الرب تعالى، ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله.

٢) **ونصفها الثاني:** مبنيٌّ على ما يحقق للعبد كماله البشري، ويُوفي له بقضاء حاجاته، ونيل سعاداته في الدنيا والآخرة، وهذا ظاهر بما حققته من المعاني والوجوه التي تضمنها قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ

﴿ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، فهو بيان أن العبد لا سبيل له إلى سعادته إلا باستقامته على الصراط المستقيم، وأنه لا سبيل له إلى الاستقامة إلا بهداية ربه له[1].

ويتضمن بيان طرفي الانحراف عن الصراط المستقيم، وأن الانحراف إلى أحد الطرفين انحراف إلى الضلال الذي هو فساد العلم والاعتقاد، والانحراف إلى الطرف الآخر انحراف إلى الغضب الذي سببه فساد القصد والعمل[2].

٣) **وبينهما:** بيان الطريق الموصلة إليه، وأنها ليست إلا عبادته وحده بما يحبه ويرضاه، واستعانته على عبادته: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، فهو لا سبيل له إلى عبادته إلا بمعونته.

ولذا كان مقصودها أعظم المقاصد، وهو تحقيق كمال العبودية لله: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ الذاريات: ٥٦.

* **فأولها:** بيان لأسباب الاستحقاق: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾.
* **وأوسطها:** اعتراف وإقرار: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾.
* **وآخرها:** وصفٌ للطريق وطلبٌ لتحقيقه ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

---

(١) يُنظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ١٣٢).

(٢) يُنظر: الفوائد لابن القيم (١/ ١٩).

٢- تحوي مقامات الإيمان الثلاثة:

المحبة والرجاء والخوف، والتي لا يستقيم إيمان المسلم إلا بها، فالمحبة في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، والرجاء في قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، والخوف في قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

٣- وتشتمل على أصول العقيدة والأحكام والأخبار اللازمة لكل مسلم:

❊ أما أصول العقيدة فهي:

١) الإقرار بالربوبية لله وحده؛ فلا خالق، ولا رازق، ولا محيي، ولا مميت، إلا هو سبحانه.

٢) الإقرار له بالألوهية؛ فلا معبود بحق إلا هو وحده سبحانه.

٣) إثبات النبوة والبعث.

يقول الحافظ ابن رجب في تفسيره لسورة الفاتحة[١]: «وسورةُ الفاتحةِ تضمَّنت:

التَّعريف بالرَّبِّ سبحانه بثلاثة أسماءٍ ترجِعُ سائرُ الأسماءِ إليها، وهي: (اللهُ)، و(الرَّبُّ)، و(الرَّحمنُ)، وبُنيَتِ السُّورةُ على الإلهيَّة والرُّبوبيَّة والرَّحمة؛ فـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مَبْنيٌّ على الإلهيَّة، و﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ مَبْنيٌّ على الرُّبوبيَّة، وطلبُ الهداية إلى صراطِه المستقيمِ مَبْنيٌّ على الرَّحمةِ.

---

(١) (ص ١٩).

وتضمَّنت السُّورةُ: توحيدَ الإِلهيَّةِ والرُّبوبيَّةِ بقولِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ولما كانَ كلُّ أحدٍ مُحتاجًا إلى طلبِ الهِدايةِ إلى الصراطِ المستقيمِ، وسُلوكِه عِلْمًا ومعرفةً، ثم عَملًا وتلبُّسًا، احتاجَ العبدُ إلى سُؤالِ ذلك وطَلَبِه ممن هو بيدِه، وكان هذا الدُّعاءُ أعظمَ ما يَفتقِرُ إليهِ العبدُ ويَضطرُّ إليه في كلِّ طرفةِ عَيْنٍ، فإنَّ النَّاسَ ثلاثةُ أقسامٍ:

- قسمٌ عَرَفُوا الحقَّ وحادُوا عنه، وهم: المغضوبُ عليهم.
- وقسمٌ جَهِلُوهُ، وهم: الضَّالون.
- وقسمٌ عَرَفُوهُ وعَمِلُوا به، وهم: المنعَم عليهم.

ولما كان العَبدُ لا يملك لنفسِه نفعًا ولا ضرًّا احتاجَ إلى سؤالِ الهِدايةِ إلى صراطِ المنعَمِ عليهم، والتخلُّص من طريق أهل الغَضَبِ والضَّلالِ ممن يَمْلِكُ ذلك ويقدرُ عليه.

وتضمَّنت السُّورةُ أيضًا: إثباتَ النُّبُوَةِ والمعادِ، أمَّا المعادُ: فمن ذِكْرِ يومِ الدِّين، وهو يومُ الجزَاءِ بالأعمال، وأمَّا النبُّوَّةُ: فمِن ذِكْرِ تقسيم الخلق إلى ثلاثةِ أقسامٍ، وإنَّما انقسمُوا هذه القِسْمَة بحسبِ النُّبُوَّاتِ ومَعرفتِهم بها ومُتابعتهم لها». اهـ.

* وأما أصول الأحكام:

فهي مضمنة في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، فالعبودية التامة لله لا تكون إلا بطاعة أوامره واجتناب نواهيه، والضدُّ بالضِّد أيضًا.

*** وأما أصول الأخبار:**

فهي مضمنة في قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، فأخبار القرآن كلها لا تخرج عن واحد من ثلاث: إما عالم عامل، أو عالم معاند، أو عابد جاهل.

٤- وفيها حقيقة الصلاة، وهي حضور القلب واستشعاره لخطاب الرب:

يوضح ذلك الحديث القدسي في «صحيح مسلم» من حديث أَبِى هُرَيْرَةَ: أن النَّبِي ﷺ قالَ: «قَالَ الله تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ».

فاستشعر هذا الحوار من الله معك أيها القائم بين يدي ربك.

وهنا فائدة لطيفة:

وهي الترقي في الخطاب من البرهان إلى العيان، والانتقال من الغيبة إلى الشهود، وكأن المعلومَ صار عيانًا، والمعقولَ مشاهدًا، والغيبةَ حضورًا.

* كيف جاء الترقي في سورة الفاتحة؟

لو تأملت في أولها سترى أن الخطاب فيه للغائب ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، فلما زدت في ثنائك كأنه أُذن لك فوصلت إلى حضرته سبحانه، فأنت تراه وتخاطبه، ولهذا التفت من الغيبة إلى الخطاب فقلت: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ولم تقل: إياه.

فلما أذن سبحانه لك وأقررت له بتمام العبودية له وحده، وكمال الاستعانة به سبحانه؛ طمعت بالمزيد فسألت: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ﴾.

فتأمل هذا المعنى واستحضره في الصلاة، تجد في قلبك عجبًا من تمام الهيبة والرغبة معًا.

يقول ابن كثير: وتحول الكلام من الغيبة إلى المواجهة بكاف الخطاب هو المناسب؛ لأنه لما أثنى على الله، فكأنه اقترب وحضر بين يدي الله تعالى؛ فلهذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[١].

ويقول ابن عاشور: وما هنا التفات بديع، فإن الحامد لما حمد الله تعالى ووصفه بعظيم الصفات بلغت به الفكرة منتهاها فتخيل نفسه في حضرة الربوبية، فخاطب ربه بالإقبال[٢].

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة (١ / ١٣٥).

(٢) التحرير والتنوير (١ / ١٧٦).

٥- وتحوي مفاتيح سعادتك في يومك وليلتك، وهي سبعة:

* **المفتاح الأول:** بدءُ يومك بالاستعاذة، وأمورك بالبسملة:

كما بُدئت سورة الفاتحة بـ: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)، فالعاقل يبدأ يومه بالدخول في حمى الله بقراءة المعوذات: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، قراءة قلب ولسان معًا.

وبالبسملة يفتتح المسلم عمله كله بها طلبة للبركة والعون من الله، فيفتح الله له بها مغاليق الأمور، فالبسملة من هدي الأنبياء السابقين، وفي كتاب الله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ هود:٤١، وابتدأ بها سليمان عليه السلام في كتابه: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ النمل:٣٠، وكذلك القرآن فصار البدء بها سنة إلى يومنا هذا.

وعند أحمد في «المسند» عن رِدفِ النبي ﷺ قال: عَثَرَ بِالنَّبِيِّ ﷺ حِمَارُهُ، فَقُلْت: تَعِسَ الشَّيْطَان، فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ: «لا تَقُلْ: تَعِسَ الشَّيْطَان، فَإِنَّك إِذَا قُلْتَ: تَعِسَ الشَّيْطَان تَعَاظَمَ، وَقَالَ: بِقُوَّتِي صَرَعْتُه، وَإِذَا قُلْتَ: بِسْمِ الله تَصَاغَرَ حَتَّى يَصِير مِثْل الذُّبَاب»، قال ابن كثير: إسناده جيد.

ولذا تُشرع البسملة عند: الوضوء، والأكل، والتذكية، والصيد، والجماع، والنوم، والدخول والخروج، وأوراد الصباح والمساء، ورقية المريض، وإنزال الميت في القبر، وغيرها.

* **المفتاح الثاني**: الثقة بسعة رحمة الله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فقد تكررت «الرحمة» صريحةً في السورة مع قصر آياتها (أربع مرات)، في البسملة وداخل السورة، وجاء التنبيه عليها ضمنًا في ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، و﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، و﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، وهذا ما لم يكن لأي صفة أخرى في سورة الفاتحة إلا الرحمة، فإياك وطريق القانطين ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ الحجر: ٥٦.

وليتذكر المذنب -وكلنا كذلك- ما ورد في «الصحيحين» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي».

* **المفتاح الثالث**: المداومة على حمد الله بالقلب واللسان والجوارح في كل الأحوال والأزمان والأماكن، والفاتحة واحدة من خمس سور كلها افتتحت بالحمد، وهي: (الفاتحة، والأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر)، و«ال» في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ جنسية استغراقية، تستغرق كل أنواع الحمد له سبحانه دون استثناء.

يقول نظام الدين النيسابوري في تفسيره «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» في كلام محرَّر نفيس عن مقامات الحمد: «الحمد على نعم الدين أفضل من الحمد على نعم الدنيا، والحمد على أعمال

القلوب أولى من الحمد على أعمال الجوارح، والحمد على النعم من حيث إنها عطية المنعم أولى من الحمد عليها من حيث هي نِعَم، فهذه مقامات يجب اعتبارها حتى يقع الحمد في موضعه اللائق به»(١).

واعلم -رعاك الله- أن أصول الحمد أربعة:

١- حمده سبحانه على ذاته المقدسة وأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

٢- حمده على خلقه ونعمته.

٣- حمده على وحيه وهدايته .

٤- حمده على قضائه وقدره .

* **المفتاح الرابع:** تذكير النفس بيوم الدين والجزاء: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾:

فالنفس علاجها الذي لا تُفلح إلا به؛ أنها إن أقبلت على الطاعة فذكرها بالجنة، وإن أقبلت على المعصية فخوفها بالنار، ألا ترى كيف ملأ الله كتابه العظيم بالتذكير بيوم القيامة وما بعده، ألم تتفكر لماذا هذه الأسماء الكثيرة ليوم القيامة (الغاشية، الطامة، الصاخة، القارعة، الحاقة،...)؟! وقد عدَّها العلَّامتان الغزالي والقرطبي فبلغت خمسين اسمًا.

(١) (١/ ٩٥).

* **المفتاح الخامس**: إخلاص العبادة مع تمام التذلل لله ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾:

وقد جاء في شرح حقيقة العبادة ولزوم التذلل والاستعانة بالله وحده آيات كثيرة من القرآن منها: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ أي الذي يُصمد إليه، وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ الكوثر:٢، وقوله: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ الأنعام: ١٦٢-١٦٣، وهذه هي حقيقة دعوة الأنبياء عليهم السلام جميعًا ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ الأنبياء: ٢٥.

وفي الاستعانة يقول تعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ الأنعام:١٧، وغيرها كثير.

وعند الترمذي من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما الصحيح المشهور، قَالَ ﷺ: «احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ».

فإياك نعبد تدفع الرياء، وإياك نستعين تدفع الكبرياء.

* **المفتاح السادس**: الإلحاح في الدعاء، فكم نكرر الدعاء بقولنا ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾؟

والدعاء لُبُّ العبادة كما قال النبيُّ ﷺ: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ»، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ غافر:٦٠، رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

وسورة الفاتحة نصفها دعاء، ولذا كان من أسمائها «سورة الدعاء»، وفيها الحوائج الأصلية التي لا بد للعباد منها، ففيها أفضل وأوجب وأنفع دعاء دعا به العبد ربه، فإنه يجمع مصالح الدين والدنيا والآخرة، والعبد دائمًا محتاج إليه، لا يقوم غيره مقامه، فلو حصل له أجر تسعة أعشار القرآن -دع ثلثه- ولم يحصل له مقصود هذا الدعاء؛ لم يقم مقامه، ولم يسد مسده[(١)].

* **وقد جاءت سورة الفاتحة ببيان آداب الدعاء التي يكون بسببها مقبولًا:**

* فأول ما يبدأ به الداعي هو الثناء والحمد لربه، ويطيل في ذلك بما يُقارب دعاء المسألة، فقد قُسمت سورة الفاتحة نصفين، نصفًا ثناء، ونصفًا دعاء.

وعند النسائي من حديث فَضَالَةَ بْن عُبَيْدٍ: أن رَسُول اللهِ ﷺ

---

(١) يُنظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ١٣٢).

سَمِعَ رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلاَتِهِ، لَمْ يُمَجِّدِ اللهَ، وَلَمْ يُصَلِّ على النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَجِلْتَ أَيُّهَا المُصَلِّي»، ثُمَّ عَلَّمَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ. وَسَمِعَ رَسُولُ الله ﷺ رَجُلًا يُصَلِّي، فَمَجَّدَ اللهَ وَحَمِدَهُ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ادْعُ تُجَبْ، وَسَلْ تُعْطَ».

وما أحسن قول القائل:

إذا كان الله قد أمر أصحاب رسول الله ﷺ بالصدقة بين يدي مناجاة رسول الله ﷺ كما في سورة «قد سمع»، فالصدقة بين يدي مناجاته تعالى أفضل وأولى بالفضيلة.

❊ ثم يتذلل لله بذكر عبوديته وحاجته لمولاه، وينطرح بين يدي ربه منكسرًا خاضعًا، يتبرأ من كل حول وقوة إلَّا من حول وقوة القادر وحده سبحانه .

❊ ثم يبدأ بالسؤال مقدِّمًا أهم شؤونه وأعظمها ﴿ ٱهۡدِنَا ﴾، متبعًا ذلك بكل حاجة له مهما دقَّت وصغرت، كما جاء في الحديث عند الترمذي وصححه ابن حبان عن الرَّسولِ ﷺ: «ليسألْ أحدُكم ربَّه حاجته كلها حتى شِسْعَ نَعْلِه[1]».

وكان بعض السلف يسأل الله كل حوائجه؛ حتى ملح عجينه وعلف شاته.

(١) شِسْعُ النعل: أي سير من سيور النعل .

❋ وعلمتنا سورة الفاتحة الإلحاح وتكرار الدعاء، فالمسلم يكرر نفس الدعاء في كل ركعة منها دون ملل ولا كلل، ففي «الصحيحين» أن النبي ﷺ قال: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي»، وثبت في «مسند أحمد»: أن رسول الله ﷺ قال: «أَلِظُّوا[1] بـ: يا ذا الجلال والإكرام».

ودعاء المسلم ربه لا يخلو من ثلاثة أحوال جاء ذكرها فيما ثبت عن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال:

إما أن يعجل له دعوته.

وإما أن يدخرها له في الأخرى.

وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها».

قالوا: إذًا نكثر، قال: «الله أكثر».

رواه أحمد والترمذي، وهو حديث صحيح.

❋ وعلمتنا جوامع الدعاء: فالخير كله في كلمة واحدة: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾.

❋ وعلمتنا أيضًا التفصيل، وتكرار المعاني عند الدعاء في المهمات والأمور العظام.

(١) أَلِظُّوا: مأخوذ من ألظَّ بالشيء: إذا لازمه، أي: لازموه، وثابروا عليه.

ففي الثناء جاء حمد الرب على ربوبيته وألوهيته ورحمته وملكه، ولم تكتف السورة بواحد منها.

وفي دعاء المسألة جاء تكرار المعاني بذكر: ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ و ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، مع أن الثاني بدلٌ من الأول، لكنه من باب التوكيد الذي يُستحب في مثل هذه المواطن.

وكان من دعائه المفصل ﷺ ما ثبت في «الصحيحين» في قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَعَظِّمْ لِي نُورًا». وفي رواية: «وفي عَصَبِي وَلَحْمِي وَدَمِي وَشَعَرِي وَبَشَرِي».

المفتاح السابع: الحب في الله والبغض في الله ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾:

فهذه أوثق عرى الإيمان، ومن كان يدعو ربه في كل ركعة وقلبه حاضر أن يُلحقه بالمنعم عليهم؛ فهذا لن يكون إلا بمحبته التامة لهم، والمحبة لها في ديننا شأن عجب، ومن أعظم التوفيق أن يرزق المسلم محبة الصالحين، وإن لم يعمل بعملهم؛ ففي «الصحيحين»: جاء رجلٌ إلى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُول الله، كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»، قَالَ أنس: فَمَا فرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِهِ ﷺ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ».

قَالَ أَنس: فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ، وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ.

وكلنا نرجوا ما رجاه أنس رضي الله عنه.

٦- وهي سورة تخلية وتحلية، ولابد منهما معًا:

فهي تخلية للعبد من الشيطان الرجيم؛ وتحليةٌ للحياة بالانصراف لرب العالمين.

وهي تخلية من كفر النعمة بنسيانها؛ لتحلية الحياة بحمدها وشكرها.

وهي تخلية من قنوط الآيسين؛ ليتذكروا رحمة الرحمن الرحيم.

وهي تخلية من الشرك والتخليط؛ لإخلاص التوحيد لرب العبيد.

وهي تخلية من تشتت الهمم؛ إلى الاستعانة بالمنعم المنتقم.

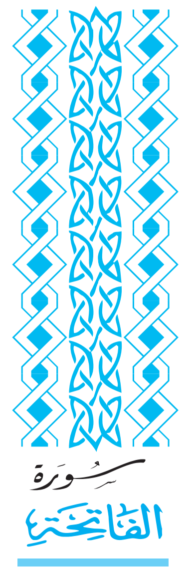
وهي تخلية من طرق الاعوجاج؛ إلى طريق الاعتدال.

وهي تخلية من الجهل إلى العلم، ومن العناد إلى الانقياد.

وهي تخلية من صُحبةِ جالبِ النقمة؛ إلى صحبة من تمَّمَ الله عليهم النعمة.







أحكام ولطائف

تتعلق بسورة الفاتحة

١- صيغ الاستعاذة كثيرة أشهرها: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)، ولو زاد: (أعوذ بالله السميع العليم..) فحسنٌ، بدلالة قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ فصلت:٣٦، ولو زاد أيضًا: (من همزه ونفخه ونفثه)[١] فلا بأس.

٢- البسملة: الأظهر -والعلم عند الله- أنها ليست آيةً من الفاتحة، كما هو قول أبي حنيفة ومالك وأحمد، وقد مرَّ فِي الحديث السابق في «الصَّحيح»: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، نِصْفُهَا لِي، وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قَالَ اللهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي..»،

(١) رُويت هذه الزيادة في حديث الاستعاذة عن عدد من الصحابة، وطرقها كلها معلولة لا يصح منها حديث، لكن قد عمل بها عدد من الأئمة، ومعناها صحيح، فالأمر في ذلك واسع.

فَهَذَا الْحَدِيثُ صَحِيحٌ صَرِيحٌ فِي أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْفَاتِحَةِ، فإن المقصود بالصلاة هنا سورة الفاتحة، وقد قُسمت قسمين ليس فيها ذكرٌ للبسملة.

وتكون سبع آيات، بأن يكون قوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ هي الآية السادسة، و﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ هي السابعة كما تقدم، كما هي طريقة أهل المدينة في عدِّ آيات سورة الفاتحة، والله أعلم.

- وهل يجهر بها في الصلاة؟

من الصحابة من جهر بها، ومنهم من لم يجهر، وذهب الخلفاء الأربعة وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد: أنه لا يجهر، وهو الأظهر؛ لأنه لم يثبت حديث واحد مرفوع إلى النبي ﷺ أنه جهر بها، ولو كان يجهر بها في كل صلاة لنُقل ذلك نقلًا مستفيضًا، ولو جهر بها الإمام أحيانًا للتعليم فلا بأس، كفعل عدد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

٣- يخطئ بعض العامة فيلحنون لحنًا جليًّا في بعض حروف الفاتحة، فيقرأ بعضهم: ﴿ ٱهۡدِنَا ﴾ بفتح الهمزة، فيقول: (أهدنا)، ويقرأ: ﴿ٱلضَّآلِّينَ ﴾ بالظاء (الظالين)، أو (المغظوب)، أو يفتح النون الأخيرة حين الوصل في ﴿نَسۡتَعِينُ ﴾، أو يقرأ: (نستاعين)، ونحو ذلك، وهذا كله لا يجوز إلا لعاجز، وليس المقصود هنا إتقان

مخرج هذه الحروف، ولكن نطقها صحيحًا، بحيث تتميز عمَّا يشبهها فقط.

٤- قال الحافظ البزار: وكنت أستمع إلى ابن تيمية ما يتلو وما يذكر حينئذ من الفجر إلى ارتفاع الشمس، فرأيته يقرأ الفاتحة ويكررها، ويقطع ذلك الوقت كله في تكرير تلاوتها[١].

٥- يقول العز بن عبدالسلام في كتابه «حل الرموز ومفاتيح الكنوز»: الطريقة إلى الله لها ظاهر -أي: عمل بدني-، وباطن -أي عمل قلبي-، فظاهرها: الشريعةُ، وباطنها: الحقيقة، والمراد من الشريعة والحقيقة: إقامة العبودية على الوجه المراد من المكلف.

ويجمع الشريعة والحقيقة كلمتان هما قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فإياك نعبد شريعة، وإياك نستعين حقيقة. ا هـ.

٦- يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: تأملت أنفع الدعاء؛ فإذا هو سؤال العون على مرضاته، ثم رأيته في الفاتحة في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٢].

٧- يقول الرازي في تفسيره «الكبير»: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثمانية أحرف، وأبواب الجنة ثمانية، فمن قال هذه الثمانية عن صفاء قلبه استحق أبواب الجنة الثمانية[٣].

---

(١) «الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية» (ص ٣٨).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٧٨).

(٣) (١/ ١٣٢).

وأوردها ابن رجب في تفسيره للفاتحة مقرًّا لها[1]، والله أعلم.

٨- مسألة: لِمَ قال تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾، فعدى الفعل ﴿ ٱهْدِنَا ﴾ بنفسه، ولم يعده بـ (إلى)، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الشورى:٥٢، أو باللام كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ الإسراء: ٩؟

قال ابن القيم: «جوابها: أن فعل الهداية يتعدى بنفسه تارة، وبحرف إلى تارة، وباللام تارة، والثلاثة في القرآن:

فمن المعدى بنفسه هذه الآية في الفاتحة، وقوله: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ الفتح:٢.

ومن المعدى بـ (إلى) قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الشورى:٥٢، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الأنعام:١٦١.

ومن المعدى باللام قوله تعالى في قول أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾ الأعراف: ٤٣، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ الإسراء: ٩.

ففعل الهداية متى عُدِّي بإلى تضمن الإيصال إلى الغاية المطلوبة، فأتى بحرف الغاية (إلى).

ومتى عُدِّي باللام تضمن التخصيص بالشيء المطلوب، فأتى باللام الدالة على الاختصاص والتعيين، فإذا قلت: هَدَيتُه لكذا،

(١) (ص ٣٢).

فُهم معنى ذكرتُه له، وجعلته له، وهيأته، ونحو هذا.

وإذا تعدى بنفسه تضمن المعنى الجامع لذلك كله، وهو التعريف والبيان والإلهام.

فالقائل إذا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ هو طالب من الله أن يعرفه إياه، ويبينه له، ويلهمه إياه، ويقدره عليه، فيجعل في قلبه علمه وإرادته والقدرة عليه، فجرد الفعل من الحرف، وأتى به مجرَّدًا معدًّى بنفسه، ليتضمن هذه المراتب كلها.

ولو عُدِّي بحرف تعيَّن معناه، وتخصص بحسب معنى الحرف[١].

٩- يقول الحسن البصري: إن دور الجنة تبنيها الملائكة بالذكر، فإذا فتر العبد انقطع الملك عن البناء، فتقول له الملائكة: ما شأنك يا فلان؟ فيقول: إن صاحبي فتر، قال الحسن البصري: فأمدوهم -رحمكم الله- بالنفقة[٢]. اهـ.

وأعظم الذكر هو القرآن، وأعظم القرآن فاتحة الكتاب، فاستمسك بغرزها -وفقك الله لهداه- فثمَّ العلم والعصمة والجنة.

كتبه



في ٢٨/ ٦/ ١٤٣١

(١) يُنظر بدائع الفوائد (٢/ ٢٥٨).

(٢) فتح الباري لابن رجب (١/ ١٥١) .



فهرس الفوائد



فهرس المحتويات